

الرواية الجديدة بين كتابة التجاوز والمغايرة الحدائية

The New Novel Between Writing Overtaking and Moderniste Contraste

* بوطارفة دارين

BOUTARFA Darine

جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

University of Larbi Tebessi, Tebessa ,Algeria

darine.boutarfa@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر: 2021/03/30	تاريخ القبول: 2020/09/20	تاريخ الإرسال: 2020/04/20
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

ينصب اهتمام هذا المقال على تأمل ظاهرة الرواية الجديدة التي ترد إلى ذهن القارئ دائما لدى الحديث عن الروايات التي غيرت في الشكل والرؤية التي استقرت في الروايات الكلاسيكية، بعد تغيير النظرة إلى الإنسان، العالم، الأشياء، ومن ثم إلى دور الكتابة الروائية وطرائقها، وأساليبها، ونظرتها إلى العالم حتى وصلت إلى انتهاك جسد الكتابة: مبنى ومعنى؛ والانتقال من أفق اليقين المستقر إلى أفق الشك كتمرد ناتج عن فقدان الفرد لقيمه الأساسية ولوعيه الشخصي حيث تحول الى شيء او أداة موجهة للاستهلاك، لذا كان لزاما رصد الواقع الجديد من خلال ابتكار أشكال وصيغ فنية مختلفة قادرة على تحطيم النموذج القديم و تأسيس كتابة تعبر عن العصر وما يوجد فيه من قضايا.
الكلمات المفتاحية: رواية جديدة، رواية كلاسيكية، مغامرة الكتابة، انفتاح وتشظي.

Abstract:

This article focuses on the contemplation of the phenomenon of the new novel that always comes to the mind of the reader when talking about novels that changed the shape and vision settled in classic novels, after changing the perception of humans, the world, things, and then to the role and methods of narrative writing, and its methods, and its look to the world until it reached the violation of the body of fiction writing; building and meaning than the transition from the stable horizon of certainty to the horizon of doubt.

As a rebellion resulting from the individual's loss of his basic value and personal awareness, as it turned into a thing or a tool directed to consumption, so it was necessary to monitor the new reality through the

* بوطارفة دارين darine.boutarfa@univ-tebessa.dz

creation of various artistic forms and formulas capable of breaking the old model and establishing writing that expresses the age and its issues.

Keywords: New novel, Classic novel, Writing adventure, Openness and fragmentation



يعد التجديد قرين الإبداع؛ لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير، فجوهر الإبداع وحقيقته عندما يتجاوز المؤلف يغامر في قلب المستقبل مما يتطلب الشجاعة والمغامرة واستهداف المجهول دون التحقق في النجاح، ونادرا ما يظفر بقبول المتلقين دفعة واحدة، بل يمتد إلى أوساطهم بتوحس وثقوة، ويستثير خيالهم ورغبتهم في التجديد باستثمار ما يسمى بجماليات الاختلاف¹؛ ما جعل الرواية كجنس ابداعي فريد من نوعه تشهد عبر مسيرتها عديدا من التجارب الإبداعية على مستوى المضمون والشكل في محاولات مستمرة لإعادة صياغة المعمار الروائي بما يتلاءم مع الواقع والفكر والتحولت الدائمة التي تمس مختلف جوانب الحياة .

سيطر النموذج الكلاسيكي² على المشهد الروائي فترة زمنية غير يسيرة، فصار السعي إلى تأسيس ملامح تجربة سردية جديدة أمرا حتميا يمكنه من خلالها تقويض النموذج الكلاسيكي الثابت؛ لأجل جعل الكتابة داخل الجنس السردية تفتح باستمرار على البحث بمسيرة متغيرات الرؤية الجديدة للواقع مع التنقيب دائما على أدوات جديدة تتناسب والعصر المعيش ذي الملامح المتباينة وتحولاته العنيفة المستمرة.

بدأت في فرنسا منتصف خمسينات القرن العشرين نصوص سردية شاذة تزدهر بتمردتها على نوع من المعيار الفني الكلاسيكي الذي تعتبر الرواية البلازكية³ نموذجا تمثيلا له⁴ ، انفردت دار باريسية هي منشورات مينوي (Edition de minuit) بطباعة هذه النصوص التي سرعان ما أطلق عليها النقاد وأولهم: إميل هنريو "emile henrio" عدة تسميات منها: الموجة الجديدة للرواية (Nouvelle Vague de Roman)، الرواية المضادة (Anti - Roman)، مدرسة الرؤية (Ecole du regard)، الرواية الجديدة (Nouveau Roman)، ألفها مجموعة مبدعين تملكهم هاجس التجديد والتحديث والتنوير من أمثال: "ألان روب غربية"⁵ (A. R. Grillet)، " ناتالي ساروت"⁶ (Nathalie Sarraute)، "كلود سيمون"⁷ (Claude Simon)، "ميشال

بوتور⁸ (Michel butor)، "روبير بانجيه"⁹ (Robert Pinget)، "جون ريكاردو"¹⁰ (Jean Ricardou)، "كلود اوليه"¹¹ (Claude Ollier)،... على الرغم من اختلافهم في كيفية تدبير الوسائط الأسلوبية والبلاغية الكفيلة بتفعيل ذلك الهاجس¹²؛ لكن ما وحدهم وصيرهم كتلة واحدة منسجمة من حيث المنطلق والغاية هو: الرض الذي أظهوره للشكل التقليدي للرواية فعملوا على الكشف عن أشكال جديدة¹³ تختلف عن تلك التي وجدت ميزتها أنها تتماشى وعصرها .

لا ينكر أصحاب الرواية الجديدة صلتهم بالتقاليد الروائية التي برزت في الماضي أي في القرن التاسع عشر والمنتصف الأول من القرن العشرين بفرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية أو في أمريكا، وإن ما يدعون إليه هو رفض التقنيات والمفاهيم التي دُرِجَت عليها الكتابة الروائية التي سبقتهم والتي جعلت منها معتقدا أو دوغما (Dogue)¹⁴؛ فلا يمكن من الوجهة الحضارية أن تُكتب الرواية في الربع الأخير من القرن العشرين بالطريقة التي كانت تكتب بها في القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن أيضا، ولا يجوز مُضي هذه المستكشفات الحضارية المثيرة دون أن تترك أي أثر في الفنون والمناهج والآداب وطرائق التفكير.

تضافرت عوامل كثيرة ساهمت بدفع عجلة الرواية إلى مأزق تفجرت منه الرواية الجديدة¹⁵ كتعبير عن هذا التعقيد المعقد من مركبات العصر، ما جعل الرواية الجديدة تحمل الكثير من الهموم الاجتماعية والمشاكل الأيديولوجية والرؤى الحضارية والترسبات الثقافية التي غصت بها المجتمعات الأوروبية، ومن بين هذه العوامل نذكر:

- الحرب العالمية الثانية: لقد كان للحرب العالمية الثانية نتائج عميقة وبعيدة الآثار في محجرات الأحداث من حيث: تسلسلها، وتعاقبها، وتشابكها، وتفاعلها، فأخذ بعضها بتلايب بعضها الآخر؛ ذلك لأنه لا ينبغي وقف نتائج الحرب المدمرة على الميادين السياسية وحدها أو التي من فروعها، نتيجة لذلك فإن الرواية التقليدية في شكلها المؤلف لم تكن شكلا أدبيا قادرا على التلاؤم مع الظروف الحضارية الجديدة لاسيما فيما يعود إلى طبيعة رؤية الرواية إلى العالم. فأفضت أهوال تلك الحرب الفظيعة بشكل مباشر إلى التفكير في ابتكار شكل جديد للكتابة الأدبية بعامة وللرواية بخاصة.

- الثورة التحريرية الجزائرية: لا ينازع أحد في أن ميلاد الرواية الجديدة كان بفرنسا في فترة قيام حرب بين الجزائر وفرنسا لأجل الحرية والاستقلال، لذلك اقترن ميلاد الرواية الجديدة بثورة التحرير الجزائرية باعتراف من بعض الكتاب الفرنسيين أنفسهم؛ كون هذه الثورة العظيمة هزت الشعب الفرنسي هزا عنيفا، كما هزت عقول المفكرين الفرنسيين فبدا ذلك جليا في كتابات كثير منهم، وقد ظهر في تلك الفترة المضطربة ما لا يقل عن ثلاث روايات جديدة لـ "ناتالي ساورت"، وستة أعمال روائية أو سردية جديدة لـ "ألان روب غرييه"¹⁶.

- استكشاف السلاح الذري: إن أي كاتب مفكر يذكر هذا السلاح المخبأ لفعل الشر وتبييت الهلاك يصاب بالذهول والغثيان النفسي ويغتدي مرتا من نتائج الدمار وتخريب الأرض ومن قيمة الحياة التي أصبح استمرار بقائها مرهونا بتعقل من يمتلكون هذا السلاح أو جنونهم؛ مخافة اطلاق الصواريخ الحاملة للرؤوس النووية فتحترق الأرض والسماء وينتهي كل شيء من على الأرض في لحظة واحدة؛ أفلا يكون لهذا العامل الرهيب أثر في إنشاء الرواية الجديدة التي تقوم فلسفتها الأدبية على نبذ القيم والاستسلام إلى العبث والقلق والتشاؤم.

- غزو الفضاء: ثبت لعامة الناس أن ذلك القمر البديع الذي كان يؤنسهم وينير عليهم في ليال معينة من الشهر مات بعد ان داسته أقدام الناس؛ ولم يعد ذلك القمر المنير الوديع البديع؛ لقد مات القمر واضطرب له الخيال اضطرابا شديدا دون أن تستفيد الإنسانية أي خير من وراء النزول عليه لأجل اثبات ان لا حياة فيه فقط¹⁷؛ ما ساهم في نشأة الرواية الجديدة في عبثتها الحيرى تعبيرا عن الانسان المعاصر في أهوائه، وتشاؤمه، وقلقه، وخوفه، وشقائه، على الرغم من أن الرواية الجديدة تربأ بنفسها عن تصوير الطباع أو تكون مرآة مجلوة للمجتمع التي تكتب له.

جاءت الرواية الجديدة كبنية دالة على الاحتجاج العنيف والرفض لكل ما هو متداول ومألوف؛ فهي تجسيد لرؤية لا يقينية للعالم مع تأكيد تنوع نماذجها، وأطيافها، وألوانها، واختلاف مناهجها في التصوير¹⁸؛ ومن ثم ناد أصحاب الرواية الجديدة بمراوغة المضمون وتشغيل تقنيات سردية جديدة تعتمد على التفكيك وافساح المجال لتشكلات اللغوية والتمثيلات البنائية التي تغير المواقع، وتزيل الحدود، وتفتح الآفاق على الإمكانات التعبيرية المتعددة لاستشراف القيم الجمالية والدلالية الالامحدودة سواء على مستوى الكتابة أو على مستوى القراءة¹⁹؛ فكل كلمة في النص

الجديد تمثل قيمة سيميائية او علامة يمكن تفكيك شفرتها وتأويل دلالتها من خلال ملاحقة نظام الكلمات وطريقة استعمالها في حياكة العبارات والصيغ مع الامعان دائما في شكلها قبل البحث في مدلولاتها، فدفعت هذه القطيعة مع الرواية البلاغية إلى أقصى أمدائها عمقا وجذرية فاتخذت الملامح التالية :

— تحول لغة السرد من لغة تسجيلية تقريرية تنقل معرفة الكتاب المباشرة بالواقع بما يقتضيه مبدأ الصدق من أمانة و حرفية وصياغة لبنيتها التركيبية الكلاسيكية المسكوكة في الرواية البلاغية إلى لغة سرد بيضاء ترصد الواقع في درجته الصفر، ما يفرض حتما إلى إعادة نظر جذرية في علاقة الكلمات بأشياء العالم؛ حيث لم تعد علاقة ارتداد مرآوي بل أضحت علاقة استعلاء تباعدى²⁰؛ ترفض الرواية الجديدة تقديم رؤية جاهزة للعالم لأنها لا تكتب عن العالم وإنما تسمح له أن يكتب عبر سطورها ولوحاتها ومن ثم افساح المجال لجميع التوقعات والاحتمالات فهي ليست تشكيكية بقدر ماهي تمردية تدميرية .

ان العالم الذي نعيش فيه يتغير بسرعة كبيرة والطريقة التقليدية التسجيلية لم تعد تستوعب جميع العلاقات الجديدة التي تنشأ عن هذا الوضع الجديد؛ لينتج عن ذلك قلق دائم يتعذر من خلاله تنظيم الضمير لجميع المعلومات التي تهاجمه لان الأدوات الكاملة تنقصه، ففي رواية المماحي²¹ "les gommes" لـألان روب غرييه نجد البطل "ولاس" عاجزا على جمع معلومات حول الحروف الناقصة من ممحاته التي يحملها "او... ب" والربط بين ذكرياته السابقة لمعرفة سر المحاة الا بعد ارتكابه جريمة قتل كان يحقق فيها فيرفع الستار عن قاتل ابيه حينها يكمل مقطع ممحاته.

— انتقال السرد الذي يزاوله سارد ذو معرفة كلية بمجريات الأحداث المحكية وفق منطق خطي وسببي رتيب تتسلسل فيه الأحداث من بداية ونهاية جاهزتين ليصير بوليفونيا²² تتناوب عليه الأصوات المتداخلة وهو ما يفرضي إلى تشظي النص إلى متواليات حكائية متنافرة لا يؤدي لبعضها إلى البعض الآخر، الأمر الذي جعل من السرد نشاطا إشكاليا يكرس فنيات الالتحديد والالتباس في النص²³؛ ففي رواية "الغيرة" "la jalousie" لـ "ألان روب غرييه" يجعل من غيرة الزوج مجردة حادثة يحاول اخفائها من خلال جمع دلائل تؤكد العلاقة بين زوجته "أ... وجاره" "فرانك" من عالم الأشياء المحيط بهم، مثلما هو الحال مع رواية "الريح" لـ

كلود سيمون " التي تتطور وفقا لحادثة من الطراز التقليدي ينفىها المؤلف في كل صفحة لان غايته الأساسية بناء روايته من هذا النفي .

— تخلص الزمن من تعاقبته الكرونولوجية²⁴ القياسية في الرواية التقليدية ليتحول إلى سيرورة تزامنية تتحارب فيها الأزمنة : الاستذكار (الماضي)، الاستشراف (المستقبل)، الكتابة (الحاضر)؛ فقد أصبح راكدا تحدث تحت سطحه تقلبات وتحولات بطيئة²⁵ صار الزمن في الرواية الجديدة منفصل عن زمنيته، إنه لا يجري ولا يهتف شيئا²⁶؛ لترفض الرواية الجديدة مفهوم الزمن أو على الأقل ترفض سلطانية محاولة التملص منه بالعبث فيه، والنيل منه، والتشكيك فيه بتقديمه حيث يجب أن يؤخر، وتأخيره حيث يجب أن يقدم. فلم تعتمد رواية " القطار " لـ " كلود سيمون " على المسار الزمني التسلسلي المعهود لدى القارئ في متابعته المستمرة للكتابات التقليدية فهناك إصرار على تميع الزمن وتخطيط نسقيته ودعوة الى هدم مساره التصاعدي والتراجعي لتداخل الاحداث فيها حيث تعتمد على الذاكرة والتاريخ. فلم يعد العنصر الزمني الخارجي عنصرا مساعدا في تعاقب الاحداث وتطورها بل أصبح عاملا أساسيا في خاخلة الزمن وتشميمه.

— أصبحت طوبوغرافية²⁷ الرواية الجديدة بالتلازم مع هذا التدبير الخاص والنوعي للزمن تتشكل من أفضية كافكاوية²⁸ توحى بفقدان الشخصية لكل بوصلة تُحْدِدُ لها وجهة ما، أو تُسْعِمُهَا بالعثور على معنى ما لوجود عبثي بدون قيم؛ هي أفضية تنفي بما يعتمل في الشخصيات من هواجس وأحلام ... تجعل منها كائنات غير نمطية تقول ذاتها النصبة أكثر مما تقول ذات مؤلفها.

فاذا كان المكان في الرواية التقليدية اطارا تحصل فيه الاحداث ما يجعل الكاتب يرسم معالمه رسما واضحا او رسما معماريا، يجعل القارئ يحس بحقيقة الحيز وواقعيته وتاريخه²⁹، يرسم المكان العام او المركزي ووصفه وتحديد معالمه، رسم الأماكن الثانوية او الجزئية التي تطرأ عليه تنقلات الشخصية وهو الامر الذي رفضه أصحاب الرواية الجديدة فالمبالغة في وصف الأماكن توهم القارئ بالأمانة الجغرافية دون الصدق في ذلك؛ ما يجعل تلك الأماكن لا جغرافية ولا خيالية. نجد في رواية " درجات " " degrés " لـ " ميشال بوتور " ضياع المكان ليندرج في سياق التقطيع الفضائي حيث تضع الشخصية فيه بسب تعدد الأماكن ما يشعره بالتيه فيفقد المكان الثبات والثقة

المعطاء للشخصية³⁰، الامر الذي نجده كذلك في رواية " في المتاهة " لـ " ألان روب غرييه" فتعدد أماكنها تشعر الشخصية بعدم المقدرة على إيجاد أي مشروع جدي.

تسعى الرواية الجديدة الى تبيد ثقة الشخصية الروائية بالمكان اذ لم يعد اطارا يثبت اقدام الشخص في الفعل والحركة لما يتصف به من صفات مميزة بل أصبح يميل الى التشابه مما يفقد الشخصية ثقتها بنفسها.

قام أصحاب الرواية الجديدة بتجريد الشخصية من آدميتها ليكون ما يوحدتها هو أنها مجرد أشياء، وما يفرق بينها هو تسمية كل واحدة منها بمجرد حرف أبجدي أصم وأبكم³¹، فلم يعد الروائي الجديد يهتم بالبورترية الذي يقدم كل ما يميز الشخصية من ملامح، وطبع نفسي، او الجوانب الفيزيائية للشخصية بغية إعطائها صورة كاملة؛ اذ انه لا يقدم الكثير عنها وان فعل لا يركز الا على بعض التفاصيل غير الأساسية في عرضها على القارئ³²؛ فلا كاتب له الحق ان يُجمل صورة الحياة بكل معانيها الإنسانية لمجرد شخصية روائية وأسوأ من ذلك أن يكلفها بحمل رسالة، كونها تعدو عنصرا من عناصر أو مشكلات السرد في العمل الروائي فلا ينبغي منحها كل الأهمية وتمييزها على المشكلات السردية الأخرى

لا تخلق الرواية الجديدة الشخصيات النموذجية لتأخذ كل الوسائل شرعيتها سواء عن طريق تشيئها، أو إلغاء حضورها، أو تقليص دورها...؛ ففي رواية " العام الماضي في مارينباد " l'année dernière a marinenbad " لـ " ألان روب غرييه " لا نعرف ملامح البطل او البطلة، و ان صح ان هناك بطلا و بطلة لا يعرف احدهما الاخر انما يخيل للرجل انه يعرف المرأة ولا نعرف من هما بالتحديد، وفي رواية " مارتورو " Martereau " لـ " ناتالي ساروت " فتت شخصية البطل بالتدرج وفي الأخير لم يبق من شخصية البطل سوى بعض الاحتمالات فأصبحت بلا معنى، بلا روح، بلا انتماء، بلا ابعاد او ملامح، وعادة ما تذكر بقية الشخصيات باستعمال الضمائر " هو"، " هي"، " هم"، " هن"، كما يكتفي " الان روب غرييه" في العديد من نصوصه إعطاء الشخصية الاسم لوحده دون الإشارة الى مواصفات أخرى مثل: " ماتياس " في رواية " الرائي"، و " فرانك " في رواية " الغيرة"، و " والاس " في رواية " المماحي"، و احيانا يشير اليها من خلال ذكر مهنتها او جنسها فقط مثل: المرأة، الرجل، الطفل، العسكري.

لا يتمكن القارئ من الإحاطة بتفاصيل الشخصية في الرواية الجديدة بشكل منسجم الا بلجوته الى صياغة صورة عنها انطلاقا من التفاصيل الصغيرة والمختزلة التي تتجلى له، والتي يمكن ان يختبر عليها ما تعوده من أساليب تأويلية³³، لذلك فالشخصية مطبوعة باستمرار بالعلامة المورفولوجية للسلبية كنوع من التحديد بالغياب والحرمان.

ان اختفاء الفرد كحقيقة جوهرية تدريجيا صاحبه استقلال متزايد للأشياء، لتتكون في عالم مستقل له بناءه الخاص³⁴، توجد الأشياء دائما فيه خلال تحديدها لعواء الصفات التي تجعل منها شخصيات اليفة ذات أرواح؛ فسطح الشيء ناعم سليم لا بريق خادع فيه ولا شفافية؛ جوهرها الأول انها موجودة، غامضة، صماء، متحدية، لا تتزعزع، حاضرة على الدوام كما لو كانت تسخر مما يصفى عليها من معان³⁵؛ أصبحت الرواية الجديدة تقوم بحركة عكسية في الرؤية، انها تتجه الى عالم الأشياء التي غالبا لا يلاحظها الانسان بالرغم من انها ذات قيمة واهمية في حياته، والهدف من ذلك تحقيق الصدمة.

أعلنت الرواية الجديدة الانتقال من عالم البشر الى عالم الأشياء، فلم تكن هذه الرواية الا مرآة لا موقع فيها لجدل الواقع و التطلعات الداخلية³⁶؛ اتخذت الرواية الجديدة من الشيء لا من الانسان موضوعا لها فحاولت وصفه بالطريقة الطبيعية المباشرة من خلال عزل الشعور الإنساني القصدي عن الأشياء، فالعالم موجود والأشياء لن تعلن عن الانسان ولا تحيل اليه، فهي تحدد من غير ان تُفصح عنه، حسبها انها توقعه في شباكه وتأسره³⁷، ففي رواية " الغيرة " لـ " لألان روب غرويه" يقدم لنا عالما كحصيلة أفعال خيالية وواقعية تُجري في مكان ما وفي زمن معدوم، تتحدد العلاقة البسيطة القائمة بين الشخصيات الثلاثة: الزوج (الراوي)، الزوجة (أ...)، وعشيقها "فرانك" من خلال وضع الأشياء وموقعها أكثر مما تحدها الشخصيات؛ فموقع الكرسيين مثلا بالنسبة للكرسي الثالث أهمية تفوق الجالسين عليها؛ فعالم " الغيرة " اذا عالم الأشياء الموجودة في ساحة رؤية الراوي (الزوج).

تريد الرواية الجديدة ان تعيد للأشياء كثافتها وثقلها ووجودها المستقل من خلال وصفها وصفا دقيقا مقصودا لذاته ولا يرمي الى أي غرض اخر؛ فالأشياء قائمة لكن الروائي لا يكشف عن الطريقة التي قامت بها، كما ليس له ان يقيمها ولا ان يصدر الاحكام عليها؛ فالعالم ليس بذي

معنى، وليس بالعبث، والشيء لا يوجه للإنسان اية إشارة ولا يحيل اليه بل ليس بينه وبين الانسان اية علاقة³⁸.

__ اتسمت الروايات التقليدية بالمونولوجية أي منغلقة على نفسها ومكتفية بما حكائيا وخطابيا، لتمتاز الرواية الجديدة بِنَيْتِهَا الديالوجية المتحلية في انطلاق السرد من كل زاوية نظر متعددة ومختلفة، تراكب النصوص المتنوعة ضمن نسق النص الأصلي الشامل، ويتعلق الأمر بتزويق النص بمقاطع من نصوص جاهزة تنتمي إلى أجناس أدبية متباينة بهدف انتاج كلية نصية تنبى على تقاطعات ومتنابرات متنوعة الأشكال³⁹؛ ما يترتب عنه وضع وحدة النص وانغلاقه واكتماله موضع سؤال يؤدي إلى نسف تفرد النص الروائي ولاكتفائه الذاتي وتكريسه لِنَيْتِ الانفتاح والتشظي والتصرف في نصوص من آفاق مختلفة وغير متوقعة؛ لأجل احداث تغييرات نوعية على مستوى الشكل كونها تسعى إلى تأسيس ذاتية جمالية جديدة أو وعي جمالي جديد، لقد استعار " ألان روب غرييه " تقنية الفلاش باك⁴⁰ (flashback)، او الاستحضار، او الاسترجاع، او الخطف خلفا التي كانت مقصورة على السينما ثم وضفت في الاعمال الروائية وذلك في رواية " المماحي " - مثلا - التي احتوت على تحقيقات بوليسية بدأت بنهاية الاحداث ثم استرجعت وقائع الجريمة، مع توظيف اسطورة أوديب بعجائبيتها خلال عملية قتل شخصية "دوبون" من قبل المحقق "والاس" الذي يعرف فيما بعد رابط الابوة الذي يجمعهما. عصفت الرواية الجديدة بالرواية التقليدية من خلال هدم الأصول الثابتة للسرد الروائي والياتة كتعبير صارخ على اهتزاز المعنى واضطراب القيمة، ومواجهة التغريب والانقسام والتشظي الذي فرض على الروائي فرضا في فترة ساد فيها اللايقين الذي مس انسان منتمي الى منظومة الحضارة الرأسمالية الغربية المعاصرة من خلال: التحرر من الحبكة الدرامية وتفكيكها، تهشيم الزمن ورفض سببته، اضمحلال الشخصية وتشبيهاها، تداخل الاجناس الادبية، سيطرة عالم الاشياء.... فكتاب هذه الرواية خلقوا أجواء غريبة غير مألوفة وعوالم غير عادية على الاطلاق؛ فالعلاقات المنطقية بين الأشياء تحطمت، والأوضاع المألوفة بين الأشخاص انقلبت والمكان انعدم لأنه لا تحت ولا فوق، والزمن تلاشى لم يعد هناك بعد أو قبل، واللغة تحولت الى إشارة والحركة الى صمت

تسعى الرواية الجديدة ان تقدم للقارئ أشكالا جديدة ملغزة لم يعتد عليها مع الرواية الكلاسيكية؛ فلا يمكن مقارنتها بطرائق التذوق والفهم التقليدية، بحيث يتعين عليه العثور على قانون اللعبة السردية والمام بعناصر البنية الدرامية المتناثرة بنفسه⁴¹، فهي تدفعه إلى التفكير من جديد في كل ما يقرأ والتأمل والاندماج من خلال الامعان في البحث عن واقع ظل مجهولا حتى الان؛ فالبحث الذي يمنع النص من ولوج دائرة ادراك القارئ وتذوقه بطريق مباشرة وفورية هو بالذات ما سيمنح لهذا القارئ قوة الانتصار على كل مقومات الواقع الجديد اما بواسطة تعوده المثابرة عليه او عن طريق اقتحامه بالعنف؛ يريد الروائي ان يقلق القارئ الا يقدم له وصفات جاهزة ومكتملة، ان يجعله يبدع الرواية معه، ويبتكر أسلوبا لحياته نفسها.

يعد الإنسان المعاصر أكثر تعقيدا من إنسان القرن التاسع عشر؛ فالوسائل التقليدية لم تعد نافعة لتصوير دقائق حياته، ما جعل الرواية البلاغية تتزعزع بمصادرها الإنسانية الراسخة؛ بغياب المنطق عن الواقع فلم يعد يتسم بالنسقية والتطور والنظام، ولم يعد الخاص انعكاسا للعام؛ بل أصبح نوعا من الصدام المستمر معه بعدما استحال التوفيق بينهما⁴².

تبحث الرواية الجديدة على وضع الإنسان في مكانه الصحيح من أجل فهم أعمق للكون، لتصير الغربة عند الروائي الجديد هي الإحساس بغربة الإنسان وانفصاله عن بقية العناصر اللإنسانية في الكون⁴³؛ فلا تهتم بشيء سوى الإنسان وموقفه من العالم بتصوير جميع أنواع الخبرات البشرية فتسلك أساليب شتى لتصير واقعيتها ليست في نوع الحياة التي تقدمها بل في الطريقة التي تقدم بها هذه الحياة؛ فلا تقتصر على كونها مرآة تعكس الذوق العام بل في خلق ذلك الذوق من خلال بناء وعي يؤدي إلى مغامرة اجتماعية وإنسانية تدعو إلى معرفة الذات والآخر بالاعتماد على التجارب التي يحتفل بها الفضاء الروائي؛ تلك التجارب غالبا ما تجد لها مثيلا على أرض الواقع بالرغم من أنها لا تمثله .

يلج الروائي الجديد إلى حقل الكتابة متحررا من الأحكام المسبقة ومن سطوة التعاليم المتعالية في مغامرة غير مأمونة العواقب غير معني بما سيكون رد الفعل وغير حذر من النتائج؛ إنها كتابة تخرج عن المعتاد وتنكل بالمألوف والمتعارف عليه والحدود، ليغدو المضي بالمغامرة إلى حده الأقصى هاجسا ومتطلبا لا خلاص منه⁴⁴ باعتبارها شكلا مفتوحا يظل دائما في حالة صنع؛ فهي مغامرة كتابة أكثر منها كتابة مغامرات، فلحظة تشكل الرواية هي أقوى تجليات الحياة لذلك

لا يمكن عدُّ الرواية موازية للحياة؛ لأنها تعيش خارج الزمن بينما يموت الإنسان أو يرحل بوصفه موجود زمنيًا و واقعيته تكمن في تشكيلها.

لم يعد هدف الرواية الجديدة أن يقول الكاتب شيئًا ولكن من أجل ألا يقول شيئًا يذكر: لماذا يقول كلامًا؟ ولمن يقال هذا الكلام؟ ... فأصبحت مجرد تفسير صريح لفلسفة تقوم على الرفض الكلي بأشكاله المختلفة؛ فهي إذن بحث عن واقع في سبيله إلى الحدوث والتحقق منقطع عن جذوره باعتبار مشكلة الأدب البارزة في عقيدة الكتاب المجددين الإبداعية هي مسألة اللا شيء⁴⁵؛ بمعنى أن تكون الكتابة من أجل الكتابة لا تستبدل قيدها بقيد كما كان القدماء يقولون على جديد زمانهم، فهذه الادعاءات الجديدة متوجهة إلى الأمام لمسيرة التطور الحاصل للفرد على شتى المجالات وليس العودة بحاضر الفرد إلى سفاسف الحكايات الماضية بشخصياتها المتحكمة في الأفراد وجرحهم إلى هاوية الدمار.

يطرح الكاتب الأسئلة لكنه لا يعرف شيئًا عن هذه الأسئلة؛ فبمجرد اختياره كتابة الرواية فهو اختيار الممارسة الإشكالية للتخييل، وربما هو نفسه لا يعرف ما الذي يريد أن يقول، يشعر أن لديه شيئًا يقوله دون معرفة كُنه ذلك الشيء ليجد نفسه غير قادر على إلزام أعماله الروائية بسياسة أو بأخرى⁴⁶، يطالب نفسه بالوقوف خارج الميدان باعتبار الرواية ممارسة إشكالية تضع العالم موضع بحث وتساؤل انعكاسًا لتساؤلات عامة للأدب عن العالم والإنسان⁴⁷ الذي فقد فعلا جميع التصورات التي صاغها الفكر البرجوازي الليبرالي البرجوازي لأجل إعادة خلقه من جديد؛ فبدل أن يقوم بوضع دلالات تُعبر عن رغباتنا وتصوراتنا الإنسانية التي صاغها العقل البشري عبر مسيرته التاريخية يجب محاولة بناء عالم أكثر صلابة وأكثر مباشرة، ليتم ذلك خلافا عما يعتقد الفكر التقليدي من أن الإنسان هو مركز العالم وأن العالم هو الإنسان⁴⁸؛ فالعالم لم يعد ملكا للإنسان ولا يمكن تدجينه حسب أهوائه ورغباته .

نخلص إلى القول: أن الرواية الجديدة اعتمدت على كتابة إشكالية جمالية مؤسسة على رفض كل ما يشكل نصا روائيا تقليديا، ما أحدث اضطرابات عميقة داخل الحقل الروائي بفضل ما قدم من اقتراحات نظرية ونصوص روائية خلخلت كامل المواقع المكتسبة داخل الرواية من حيث المبني والمعنى ودوائر الانتليجنسيا؛ بعد تغير حياة الانسان المعاصر من خلال اجتياح الالة، وتطور وسائل التواصل، و بروز العصر الرقمي؛ فالواقع لم يعد هو الواقع الطبيعي القديم ومن الخطأ

شرح كل شيء فيه قبل فهم أي شيء منه. لذلك تستلزم حالة الرفض الدائم التي نتجت عن تطور المجتمع وخوضه غمار عصر الشك، والتحول، والتشكل المستمر، بناء عالم روائي جديد لا يقبل كل سابق عليه، ليحفز البحث الكاتب الروائي الى تجاوز الاشكال المستهلكة والعقيمة؛ انه يستحته على التماس الفاعلية وحدها: فاعلية تلك الحركة التي بواسطتها ينكشف الواقع الخفي ويتشكل.

ان ما تقدمه الرواية الجديدة للقارئ او المتفرج - بالنسبة للنصوص الجديدة التي تحولت الى أفلام - هو طريقة للحياة في عالم اليوم المتشابك، ودفعه الى المشاركة في خلق عالم جديد، من خلال حثه على الوثوق بمقدورات الادب بعامة والرواية بخاصة في التغيير لأجل بلوغ هاته الغاية، ما يجعل الرواية الجديدة بعيدة كل البعد عن كونها نظرية او موضة سوف تنقضي في فترة زمنية ما، لكنها مرحلة مميزة ومختلفة من مراحل تطور عالم الرواية من خلال الإطلال على عالم بأفاق مختلفة؛ من عالم مطمئن الى عالم غير مستقر؛ الانتقال دفعة واحدة من الحياة الرتيبة الثابتة الى المغامرة بالتخلص من شعور الالفة مع ما يُقرأ من نصوص روائية تُؤلد الإحساس بالتعاون، والعرفان، والتعاطف بين القارئ والراوي الذي يشبهه، رغم معاناته من حياة إنسانية متفككة وفقدان اليقين والإحساس باللاجدوى في كل شيء، وانتظاره لشيء يكاد يكون مستحيل الوقوع، فالتقنيات الثابتة في العمل الروائي التقليدي لن تجيب عن تساؤلاته المتكررة؛ ما يفسر كون الرواية الجديدة لحظة انعتاق وانفلات من كل الأشكال التي قيدت الكتابة الروائية بالانحراف عن الأصول الثابتة للسرد الروائي والياته.

هوامش:

¹ اح فضل لذة التحريب. ط1، دار الأطلس للنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص:3

² بمختلف اتجاهاته: الواقعية، النفسية،

³ البلزاكية أو الواقعية وهي نسبة الى "ونواريه دي بلزاك" الكاتب والناقد والكاتب الصحفي، يعد من ابرز اسيداء الرواية الفرنسية؛ حيث الف أكثر من تسعين رواية وأكثر من مائة قصة نشرت منذ عام 1829 حتى 1855 تحت عنوان " الملهة الإنسانية " و يضاف الى هذا الكتاب مائة قصة فكاهية إضافة الى اعمال صنفها فلسفية خيالية شعرية، وفي السياق الواقعي ويعتبر "بلزاك" مع "فلوبير" مؤسسا الواقعية في الادب الأوروبي.

⁴لوران فيلدر. الرواية الفرنسية المعاصرة. ترجمة فيصل الأحمر. ط1، منشورات مختبر الترجمة واللسانيات، قسنطينة، 2004، ص:54.

⁵الآن روب غرييه "1922-2008": كاتب وأديب ومخرج سينمائي، يعد رائد الرواية الجديدة ومنظرها وأبوها الروحي - يقول في كتابه نحو رواية جديدة: " لست منظرا للرواية الجديدة وإنما دفت لتكوين بعض الأفكار النقدية ككل الروائيين الآخرين سواء القدامى او المحدثين منهم عن الكتب التي قرأتها او الكتب التي الفتها وتلك التي افكر فيها"، اتى الى مجال الرواية والسينما من مجال العلوم تخصص في البيولوجيا؛ فكان الشرح العلمي حاضرا في اعماله، انتخب عضوا في الاكاديمية الفرنسية في مارس 2005 غير انه لم يلق كلمة الانتساب التقليدية ولم يجتهد يوما مقعدا تحت القبة الاكاديمية وهاجسه حرية الانسان في النظر الى نفسه. عارض الحرب على الجزائر وكان ذلك اهتمامه السياسي الوحيد كتلميذ "لألبير كامو" و" جون بول سارتر" من أعماله: رواية المماحي (les gommes)، الغيرة (La jalousie)، الخالدة (L'immortelle)، في المتاهة (Dans Le labyrinthe)، كتاب نحو رواية جديدة (Pour un Nouveau Roman)؛ كما رشح لعدة جوائز مثل جائزة الاوسكار لأفضل سيناريو اصلي، وجائزة هوغو لأفضل عمل درامي، نال جائزة ديبلوك وجائزة فنيون .

⁵البليزاكية أو الواقعية وهي نسبة الى "ونواريه دي بلزك" الكاتب والناقد والكاتب الصحفي، يعد من ابرز اسياذ الرواية الفرنسية؛ حيث الف أكثر من تسعين رواية وأكثر من مائة قصة نشرت منذ عام 1829 حتى 1855 تحت عنوان " الملهاة الإنسانية" و يضاف الى هذا الكتاب مائة قصة فكاهية إضافة الى اعمال صنفت فلسفية خيالية شعرية، وفي السياق الواقعي ويعتبر "بلزك" مع "فلوبير" مؤسسا الواقعية في الادب الأوروبي

⁶ ناتالي ساروت "1905 - 1999": من اكبر كتاب الرواية الجديدة سنا؛ من اصل روسي باسم اوناتاشا. هاجرت مع افراد عائلتها الى فرنسا سجلت نفسها كمحامية في محكمة باريس لكنها سئمت من مهنة المحاماة بسبب اهتمامها السريع بالآداب خاصة الرواية والمسرح؛ ما جعلها تلفت نظر "جون بول سارتر" الذي اعتبرها اكتشافا حقيقي لموهبة جديدة في عالم الابداع بعامة والرواية بخاصة. من أهم أعمالها: رواية انتحاءات ضوئية (Tropismes)، بورترية رجل مجهول (Portraite d'un inconnu)، مارتورو (Martereaut)، كتاب عصر الشك (l'être de soupçon)

كانت تردد دوما رغبتها في ان تودع العالم بعد ان يودعه القرن العشرين فتكون خير شاهد على عصره بأكمله غير ان الحياة لم توفر لها متعة ذلك الوداع تلك، فماتت قبل ان يموت القرن العشرين عن تسعة وستون عاما.

⁷كلود سيمون 1913-2005: كان مهتما بالرسم كثيرا ثم الادب حائز على جائزة نوبل للأدب سنة 1958 إضافة الى جائزة صحيفة الاكسبرس سنة 1960 ثم جائزة مديسي سنة 1967، من أهم أعماله: المخادع (Le tricheur)، العشب (Herbe)، الميدان (Arène)، القصة (Histoire). يعتبر سيمون من كتاب الذاكرة تجمع اعماله بين الفوضى والعذوبة والمزج بين ما هو سردي وتاريخي.

⁸ ميشال بوتور 1926 – 2011 : روائي وباحث وكاتب مقال من الأوائل الذين قاموا بالتنظير للرواية الجديدة، وقد ساعده على ذلك تعمقه في اللغة الفرنسية فراح يكشف مداخلها ومعانيها المتعددة واستعاد منها في ابداعاته. تحصل على العديد من الجوائز منها: جائزة فينون 1956، وجائزة رينود 1957 ، وجائزة الكبرى للنقد الادبي 1983 ، لكن بمتابعة تاريخ انتاجه الادبي نجد اغلب كتبه تنتمي الى التنظير والنقد منها الى الابداع الادبي . من أهم أعماله: ممر ميلانو (Passade Milan)، جدول الزمن (L'emploi du temps)، التعديل (Modification)، الباعث (Motif)، الدرجات (Dégré)، الإرسال (transmission) .

⁹ روبرت بأنجييه: رغم كونه فرنسي الجنسية الا انه ولد في جنيف سويسرا سنة 1919 ، بعد ان اتم دراسته في القانون ذهب الى فرنسا لدراسة الرسم ولكنه سرعان ما اكتشف ان الكتابة هي موهبته الحقيقية ، تأثر "بيروست" و "كافكا" و "هنري ميشو". من اهم اعماله: الثلعب او البوصلة (de renard et la boussole) ، باغا (baga) ، باسাকাي (passacaille) ، احد الأشخاص (quelque un).

¹⁰ جون ريكاردو: من اهم منظري الرواية الجديدة من خلال مجموعة من الكتب مثل: قضايا الرواية الجديدة 1967، من اجل نظرية للرواية الجديدة 1971، المشكلات الجديدة للرواية 1978 الى جانب مجموع من الروايات: مرصد كان (observatoire de cannes)، سقوط القسطنطينية (la prise de Constantinople)، الأماكن المذكورة (les lieu dits).

¹¹ كلود اولييه : من اهم اعماله : الإخراج (la mise en scène) ، صيف هندي (été) (l'indien) الغز (énigme) ، اور او بعد عشرين عاما (our ou vingt ans après).

¹² ناتالي ساروت وآخرون. الرواية الجديدة والواقع. ترجمة رشيد بنجد و. ط1، وزارة الثقافة والرياضة، قطر، ص: 05.

¹³ محمد داود. الرواية الجديدة بنياتها وتحولاتها. ط1، دار ابن النسيم، الجزائر، 2013، ص: 49.

¹⁴ عبد الملك مرتاض. في نظرية الرواية. ط1. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998. ص: 51.

¹⁵ شكري عزيز ماضي. أممات الرواية الجديدة. ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008، ص: 16.

¹⁶ المرجع السابق. ص: 52

¹⁷ المرجع نفسه. ص: 53

¹⁸ منيعي حس. قراءة في الرواية. ط2، سندی للطباعة والنشر، المغرب، 1996، ص: 15

¹⁹ ناتالي ساروت وآخرون. الرواية الجديدة والواقع، ص: 07.

²⁰ المرجع نفسه. 08

²¹-ولدت الرواية الجديدة حسب جريدة الحياة اللندنية مع رواية "المماحي" لألان روب غرييه سنة 1953، كما اعتبرها النقاد أول رواية جديدة.

²²أخذ مصطلح البوليفونية أو تعدد الأصوات من الموسيقى؛ فمزج أصوات متعددة داخل النص الروائي الواحد يشبه المزج بين مختلف الألوان في عمل موسيقي. يكسر السرد البولي فونوني الجمود في النص السردي ويقدمه عاريا كعمل متخيل مسقطا القناع الواقعي الذي بنيت عليه الرواية الكلاسيكية، ما يجعل العنصر الروائي قائم على تعدد الرؤى والتصورات الأيديولوجية المختلفة دون أن يفرضها المؤلف على المتلقي؛ بل يترك له حرية الاختيار كونها مبنية على التنوع في مستويات اللغة والانفتاح الاجناسي التناص والمستنسخات النصية والتهجين والتنضيد والأسئلة والتعددية على مستوى الاحداث والمواقف والفضاءات ما يعني ان عناصر البنية الروائية وضعت في مواجهة بعضها البعض الاخر.

²³ناتالي ساروت. الرواية الجديدة اليوم. ص: 07

²⁴الكرونولوجيا (Chronology) تأريخ الحوادث وفقا لتسلسل وقوعها وتقسيم الزمن إلى فترات وتحديد التواريخ الدقيقة للأحداث.

²⁵المرجع السابق. ص: 08

²⁶آلان روب غرييه. نحو رواية جديدة. ترجمة مصطفى ابراهيم. تقدم لويس عوض. ط1، دار المعارف، مصر، ص: 137.

²⁷طوبوغرافيا (Topographie): مسح دقيق لعناصر المكان بعناصره وتفصيله، فالطوبوغرافيا هي المكان المحسوس القابل للإدراك الحاوي للشيء المستقر.

²⁸نسبة إلى "فرانس كافكا" رائد الكتابة الكابوسية، تصنف اغلب اعماله بكونها واقعية عجائبية؛ ما يجعل شخصيات اعماله غريبية الاطوار يجدون انفسهم وسط مازق ما في مشهد سريالي؛ يعزي ذلك للمواضيع النفسية التي يتناولها في اعماله مثل: الاعتراب الاجتماعي، القلق، الذعر، الشعور بالذنب، والعبثية، من أكثر اعماله شهرة "المسخ"، "المحاكمة"، "القلعة"، وقد ظهر مصطلح الكافكاوية في الادب رمزا الى الكتابة الحدائثية المختلفة بالسوداوية والعبثية

²⁹عبد الملك مرتاض. في نظرية الرواية. ص: 131

³⁰المرجع نفسه. ص: 247

³¹ناتالي ساروت وآخرون. الرواية الجديدة والواقع. ص: 08.

³²محمد داود. الرواية الجديدة بنياتها وتحولاتها. ص: 212

³³المرجع نفسه. ص: 218.

³⁴سامية احمد سعد الرواية الفرنسية المعاصرة. مجلة عالم الفكر، المجلد7، العدد1، وزارة الاعلام، الكويت1976، ص: 247

- ³⁵الان روب غرييه. نحو رواية جديدة. ص: 27
- ³⁶فيصل دراج. نظرية الرواية والرواية العربية. ط1، دار بستان المعرفة، مصر، 2004، ص: 46.
- ³⁷مورس جانجي. سمات الرواية الجديدة، مجلة المعرفة، العدد175، سوريا، 1977، ص: 93
- ³⁸المرجع نفسه. ص: 94
- ³⁹ناتالي ساروت وآخرون. الرواية الجديدة والواقع. ص: 09.
- ⁴⁰الانقطاع التسلسل الزمني والمكاني للقصة أو المسرحية أو الفيلم لاستحضار مشهد أو مشاهد ماضية تلقي الضوء على موقف من المواقف أو تعلق عليه، كانت هذه التقنية مقصورة على السينما إلا أن المتأخرين وظفوها في الأدب المسرحي والشعر والأعمال الروائية وبخاصة الرواية البوليسية التي كثيرا ما تبدأ بنهاية الأحداث ثم تسترجع وقائع الجريمة شيئا فشيئا
- ⁴¹بنجدو رشيد. الرواية المغاربية - أسئلة القراءة وأجوبة الكتاب - مجلة الثقافة المغربية، السنة 2، العدد 07، المغرب، 1992، ص: 41.
- ⁴²عباس عبد الجاسم. ما وراء الرواية ما وراء السرد. ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 2005، ص: ع 3.
- ⁴³غالي شكري. العنقاء الجديدة - صراع الأجيال في الآداب المعاصرة - ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995، ص: 32
- ⁴⁴بلحيا الطاهر. الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة. ط1، دار ابن النديم، الجزائر، 2017، ص: 96.
- ⁴⁵مجموعة من الكتاب، الإبداع الروائي اليوم - أعمال ومناقشات لقاء روائيين عرب وفرنسيين - ط 1، دار الحوار، سوريا، 1994، ص: 72
- ⁴⁶الإبداع الروائي اليوم. ص: 74
- ⁴⁷المرجع نفسه. ص: 75
- ⁴⁸محمد داود. الرواية الجديدة بنياتها وتحولاتها. ص: 53.